

الإمام محمد متولي الشعراوي

جامع البيان

في

العبا الأحكام

2

جمع المادة العلمية

منشاوي غانم جابر

كتب الحواشي وراجعها

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

٥

دار الندوة

اللهم اكتب لى بها عندك أجرا، وضع عنى بها وزرًا، واجعلها لى عندك ذخراً، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود.

قال الحسن: قال لى ابن جريج: قال لى جدك: قال ابن عباس: فقرأ النبى ﷺ سجدة ثم سجد، فسمعته يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

أخرجه الترمذى [٥٨٤] وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى [٤٧٣].

وعدد السجدات فى كتاب الله أربع عشرة سجدة وهى:

الأعراف: ٢٠٦ ـ الرعد: ١٥ ـ النحل: ٤٩ ـ الإسراء: ١٠٧ ـ مريم: ٥٨ ـ الحج: ١٨ ـ الفرقان: ٦٠ ـ النمل: ٢٥ ـ السجدة: ١٥ ـ ص: ٢٤ ـ فصلت: ٣٧ ـ النجم: ٦٢ ـ الانشقاق: ٢١ ـ العلق: ١٩.

٢١
الخاتمة

الحق سبحانه وتعالى لم يطلب منا فى الصلاة الركوع، والسجود الظاهر فقط، بل لا بد من الخشوع[١]

---

(١) ففى أمر **الخشوع** قد قال الله تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾** سورة المؤمنون: الآية ١ ، ٢.

قال الطبرانى: لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق أنهارها ثم نظر إليها فقال: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾** قال سبحانه: وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل.

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، ملاطها وحصباؤها اللؤلؤ، وحشيشها الزعفران، ثم قال لها انطقى، قالت: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾** فقال الله: وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل، ثم تلا رسول الله ﷺ: **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**.

فقول الله سبحانه: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾** أى قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف: **﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾**.

والإخلاص[1] فى الصلاة والبعد عن مكروهاتها[2] فأمرنا سبحانه وتعالي:

= قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: ﴿خاشعون﴾ خائفون ساكنون.

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه الخشوع: خشوع القلب.

وقال الحسن البصرى: كان خشوعهم فى قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح.

وقال محمد بن سيرين: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة، فلما نزلت الآية: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وكانوا يقولون: لا يجاوز بصره مصلاه، فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض، والخشوع فى الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة وقرة عين.

(تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٤٥)

(١) وكذلك فى الإخلاص فى العبادة أن قال لنا الحق سبحانه: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص ...﴾ سورة الزمر: الآية ٢ ، ٣.

(٢) مكروهات الصلاة:

■ كراهية رفع البصر إلى السماء فى الصلاة:

عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم!» فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: «لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك أو لَتُخْطَفَنَّ أبصارهم» ولَفْظ مسلم: «لينتهن أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أو لا ترجع إليهم».

أخرجه البخارى [٢/ ١٩٣] ومسلم [٤٢٨]

■ كراهية الالتفات فى الصلاة:

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات فى الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد».

أخرجه البخارى [٢/ ١٩٤]

* عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال: «لا يزال الله عز وجل مُقْبِلا على العبد ما كان =

فى صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت أعرض عنه».

أخرجه الترمذى [٢٨٦٧] وقال: حديث حسن صحيح
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم

* عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بنى إياك والالتفات فى الصلاة فإنه هلكة، فإن كان لابد ففى التطوع لا فى الفريضة».

أخرجه الترمذى [٥٨٩] وضعفه الالبانى فى مشكاة المصابيح [١٧٥]

■ كراهية البذاق فى المسجد ونحو القبلة:

* عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ قال: «البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها».

أخرجه البخارى [٤٢٨/١] ومسلم [٥٥٢]

* عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه، فإنه يناجى الله مادام فى مصلاه، ولا عن يمينه، فإن عن يمينه ملكاً، ولكن ليبصق عن شماله أو تحت رجليه فيدفنها».

أخرجه البخارى [٤٢٨/١] ومسلم [٥٥٠]

* وعن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت فى مساوئ أعمالها النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن»

أخرجه مسلم [٥٥٣٠]

■ كراهية الاختصار فى الصلاة (وضع اليد على الخصر):

وعن أبى هريرة ﷺ قال: نهى النبى ﷺ أن يصلى الرجل مُخْتَصِراً.

أخرجه البخارى [٧٠/٣] ومسلم [٥٤٥]

■ كراهية مسح الحصى:

عن أبى ذر الغفارى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا =

= يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهة»

أخرجه أبو داود [٩٤٥] وضعفه الألبانى فى ضعيف سنن أبى داود [١٧٠]

■ كراهية الاشارة باليد عند التسليم في الصلاة:

عن جابر بن سمرة ؓ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فإذا سلم قال أحدنا بيده عن يمينه وعن شماله: السلام عليكم فأشار بيده عن يمينه وعن شماله، فقال: النبى ﷺ: «ما بالكم ترمون بأيديكم، كأنها أذناب خيل شُمس، أوَلا يكفى أحدكم - أو إنما يكفى أحدكم- أن يضع على فخذه، ثم يسلم عن يمينه وعن شماله: السلام عليكم ورحمة الله».

أخرجه مسلم [٤٣١]

■ كراهية الصلاة بحضرة الطعام:

عن أنس ؓ عن النبى ﷺ قال: «إذا حضر العشاء وأُقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء».

(أخرجه البخارى [٢/ ١٣٤] ومسلم [٥٥٧]

■ كراهية حصر البول والغائط:

وعن عائشة ؓ عن النبى ﷺ قال: «لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان».

ـ الأخبثان: البول والبراز.

حديث صحيح ـ صحيح الجامع [٧٥٠٩]

■ [illegible]

مر أبو رافع مولى النبى ﷺ على الحسن بن على عليهما السلام وهو يصلى قائمًا وقد غَرَزَ ضَفْرَهُ فى قفاه فَحَلَّهَا أبو رافع فالتفت حسن إليه مغضباً فقال: أَقْبِلْ على صلاتك ولا تغضب فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ذلك كِفْلُ الشيطان» (يعنى مقعد الشيطان)
=

= أخرجه أبو داود [٦٤٦] وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود [٦٠١]

■ كراهية تسبيل الإزار:

* وعن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أسبل إزاره في صلاته خُيَلاءَ فليس من الله جل ذكره في حلٍّ ولا حرام»

أخرجه أبو داود [٦٣٧] وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود [٥٩٥]

■ كراهية التثاؤب في الصلاة:

* وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «التثاؤب في الصلاة من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع»

أخرجه مسلم [٨/ ٢٢٥]

* وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان منه»

أخرجه مسلم [١٢٩٥]

■ كراهية التشبيك بين الأصابع في الطريق إلى الصلاة:

عن كعب بن عُجْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه في صلاة».

أخرجه أبو داود [٥٦٢] وصححة الألباني في صحيح سنن أبي داود [٥٢٦]

■ كراهية [illegible]:

وعن أم سلمة ﷺ قالت: رأى النبي ﷺ غلاماً لنا يقال له أفلح إذا سجد نفخ فقال ﷺ: «يا أفلح تَرِّبْ وجهك».

حديث ضعيف – ضعيف الجامع [٦٣٩٣]

■ كراهية [illegible]:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا =

= في أعطان الإبل».
- والأعطان جمع العطن، وهو الموضع تنخى إليه الإبل بقرب البئر ليرد غيرها الماء.
- يرد غيرها: يشرب غيرها.

أخرجه مسلم [٣٦٠]

■ الأوقات المنهى عن الصلاة فيها:

* عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتحرى أحدكم فيصلى عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها».

أخرجه البخارى [٢/ ٤٩] ومسلم [٨٢٨]

* عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس.

أخرجه البخارى [٢/ ٤٩] ومسلم [٨٢٥]

* عن عقبة بن عامر ﷺ قال: ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلى فيها، وأن نقبر موتانا فيها: إذا طلعت الشمس حتى ترتفع بازغة، وإذا تضيقت للغروب، ونصف النهار.

أخرجه مسلم [٨٣١]

تضيقت للغروب: أى مالت الشمس، ونقبر موتانا: أى ندفن.

* عن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا رسول الله، علمنى مما علمك الله وأجهلُ، قال ﷺ: «إذا صليت الصبح فأقصر حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فلا تصل حتى ترتفع، فإنها تطلع بين قرنى الشيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين فصلِ، فإنها تسجر جهنم، فإذا أفاء الفيء فصلِ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر، فأقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب حين تغرب بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار». =

﴿يا أيها الذين ءامنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾(١).

فهذه العبادة خالصة لله، ليست حركات رياضية، ولكنها عبادة لله وحده قبل كل شيء. فالعبادة إذن هى أن تفعل لأن المعبود قال لك: افعل، وهذه تأخذ كل أوامر التكليف التى جاءت مع الصلاة بالإجمال، وغير ذلك، وما لا يتم الواجب به فهو غير واجب.

التكاليف جاء بها الرسول من عند الله الواحد وهى كثيرة، ولكن الحق سبحانه ذكر منها تكليف الصلاة التى تتكرر كل يوم خمس مرات، أما بقية التكاليف..

* فقد تكون شهراً فى العام وهو .. صيام رمضان.
* وقد تكون يوم دخول المحصول وهى .. الزكاة.
* وقد تكون مرة فى العمر كله وهى .. الحج والعمرة.

الصلاة إذن هى العبادة الدائمة لله، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «العهد

=

أخرجه مسلم [٨٣٢]

قرنى شيطان: معناه أن الشيطان يدنى رأسه من الشمس فى هذه الأوقات حتى يكون طلوعها وغروبها بين قرنيه وهما جانبا رأسه من الشمس، ويسول لعبدة الشمس أن يسجدوا لها فينقلب سجودهم عبادة للشيطان.

واتفق العلماء على أنه لا يجوز صلاة نافلة فى هذه الأوقات، ولكن يجوز فيها قضاء الفرائض.

وقال أصحاب الرأى: لا يجوز أن يصلى فى هذه الأوقات فرضاً ولا غيره إلا حالة الغروب يجوز أن يصلى عصر يومه.

(١) سورة الحج: الآية ٧٧.

الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[1].. وكذلك قال ﷺ: «من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله»[2].

ونظراً لأهمية الصلاة خصها الله بظرف تشريفى، فكل تكاليف الأحكام جاءت بالوحى، إلا الصلاة وحدها هى التى جاءت بالأمر المباشر من الحق سبحانه، ولذلك إذا أمرنا الشارع بشيء ترى فيه تضييقًا على حركتك فاعلم أن هذا هو النافع لك، لأن الحق سبحانه عندما يقيد حركتك فى شر تلحقه بالغير، فإنه يُضَيِّق على غيرك فى أن يتحرك بالشر فى ناحيتك.. فأنت المستفيد. فإذا قال لك المشرع سبحانه: لا تسرق.. وأنت واحدٌ، وقال للناس جميعًا: لا تسرقوا.. فإن ذلك حماية لك من شرهم.. فأنت المستفيد.

وأيضًا إذا أمرك أن تغض البصر عن محارم غيرك.. فأنت المستفيد. ذلك أن كل تكليف من الله سبحانه للخلق هو لمصلحة الفرد والمجتمع ولإسعادهم، وحينما يأمر الحق بفعل الخير فذلك من أجل أن نسعد ونتعاون، ونتساند ولا نتعاند.

وطالما أن الأفعال صادرة عن إيمان واحد فلن نختلف أو نتصادم، لكن يحدث التصادم والخلاف حينما نتبع أهواءنا ويمشى كل منا تبعًا لهواه فهنا تتصادم الأهواء. فلو أن مجتمعًا كل حركة من حركاته مقصود بها نفع الغير، والعطف على الفقير والمسكين، فإنه يسود فى هذا المجتمع..

* التراحم،

(١) أخرجه الترمذى [٢٦٢١] وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [٢٧٦٩]

(٢) صحيح (صحيح الترغيب/ ٥٧٢).

* العطف،
* والمودة.

ولن يكون في المجتمع.. حقد ولا ظلم ولا رشوة، ولا ضياع لحق.. فهو مجتمع حقق الفلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة بجانب فلاح الدنيا.

ولذلك لا تظن أن الله سبحانه يكلفك ليتعبك، ويضيق عليك، لا أن هذه الأعمال هي لصالحك في الدنيا، ويثيبك الله عنها في الآخرة، فهذا فضل وكرم من الله سبحانه الذي يقول:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾[1].

الصلاة حين تضيق الأسباب:

الأسباب قد تضيق عن مسبباتها، والذين يعانون من ضيق هذه الأسباب يلجأون إلى الحق سبحانه باضطرار الفزع، فيزيل الله الغمة عن البشر من حيث لا يحتسب البشر.. فهو الحق سبحانه وله جنود لا نعلمها.

والإنسان لحظة أن يكون مضطراً لشيء، ولا تسعفه الأسباب، فإن الحق سبحانه ينبه عباده إلى أنه رب الأسباب، فهو القادر على العطاء بلا أسباب.. ذلك

(١) سورة النساء : من الآية ١٧٣ .. أي فيعطيهم الله من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وسعة رحمته وامتنانه، وقد روى ابن مردويه قال: قال رسول الله ﷺ **﴿فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾** أجورهم .. قال: أدخلهم الجنة **﴿ويزيدهم من فضله﴾** قال: «الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في دنياهم».

(تفسير ابن كثير: ١/ ٥٩١)

لأنه لا يوجد شيء قد خرج عن ملك الله، فكل الكون فى ملك الله سبحانه.
وهناك قصة ترويها ذاكرة التراث تلفتنا إلى جلال قدرة الحق، ذلك أنه كان هناك رجل يسير فى الليل فرأى العسعس، والعسعس هم الجنود الذين يراقبون أحوال الناس والممتلكات فقال الرجل فى نفسه: قد يظلمنى العسعس إذا رأونى وسألونى أين كنت؟.. وإلى أين أنت ذاهب؟.. لذلك سأجرى منهم وأختفى فى أى مكان. وجرى الرجل واختفى فى مكان خرب ليستتر فيه، فدخل عليه العسعس هذا المكان الخرب فوجدوا قتيلاً فيه، فكل الملابسات التى أحاطت بالرجل تشير إلى أنه هو القاتل، فأخذ العسعس الرجل إلى الحاكم.. فماذا كان من الرجل؟.. طلب الرجل أن يتوضأ، وأن يصلى لله.. فأمهله الحاكم، فصلى الرجل ودعا الله قائلاً: اللهم إنك تعلم أنه لا شاهد لى على براءتى إلا أنت، وأنت أمرتنا ألا نكتم الشهادة، فأسألك ذلك فى نفسى.

هذا الرجل يؤمن يقينًا بأن الله سبحانه قد أمر المؤمنين به أن لا يكتموا الشهادة.. لذلك طلب هذا الرجل من الحق سبحانه أن يوضح براءته. وفجأة دخل على الحاكم رجل وقال: أنا قاتل القتيل.. فتعجب الحاكم، وسأل الرجل الذى جاء ليقر أنه القاتل: لماذا تعترف على نفسك، ولم يشاهدك أحد؟!.. فقال القاتل: والله ما أقررت، إنما جاءنى هاتف، فأجرى على لسانى بما قلت!!.. القاتل يعترف أن هاتفًا قد جاء إليه فحرك خواطره فسار إلى الحاكم ليعترف أنه القاتل، وهنا قام ولىُّ القتيل، وهو صاحب الحق فى الدِّيَـة، وهو ابن القتيل، فقام ليقول: اللهم إنى أشهدك أننى أعفيت قاتل أبى من ديته.

القصة هذه تدل على عظمة قدرة الحق سبحانه وذلك فى أن مظلوم، برىء يصلى ركعتين للخالق يفرج الله عنه ويكشف ما به من سوء، وذلك كما علمنا

رسول الله ﷺ أنه إذا حزبه أمر يقوم إلى الصلاة وذلك ليفرج الله الغمة.

والإنسان عندما يذهب إلى ربه ويناجيه، فهو القادر سبحانه على أن يعطى الإنسان ما سأل، لأنه فى قبضة الله يوجهه إلى الخير، وإن لم يرد الإنسان ذلك، وينقذ الإنسان وإن لم توجد له أسباب الإنقاذ.

الصلاة نور للهداية:

بيوت الله ترفع ويذكر فيها اسم الله وذلك كما يقول الحق سبحانه:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾(١).

وبيوت الله هى الأماكن التى تتنزل فيها الرحمات من الحق سبحانه وتعالى، بدليل أن الله تبارك وتعالى حين يتكلم عن نوره يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.. أى إن الذين يرون هذا النور ويتنزل عليهم هم عمار المساجد، فنور الله نور يضىء لنا القيم والمعنويات. كما أن الله أعطانا النور المادى ليحافظ علينا من أن نحطم أو نتحطم فإنه سبحانه أرسل إلينا نور الهداية لنهتدى به إلى الطريق الذى يأخذنا إلى المرحلة الثانية الخالدة من الحياة.

(١) سورة النور: الآية ٣٥- ٣٦.

الإنسان لم يُكلَّفْ من الله إلا بعد أن يصل إلى سن البلوغ، فالنور المادى يستفيد به الإنسان قبل التكليف وبعده. ثم يأتى النور المعنوى فيتلقاه عندما يبلغ سن التكليف ويعرف منهج الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾.. هل نور الشمس يحجبه الله عن أحد؟.. لا إنه لكل الخلق، وكذلك نور الهداية فكل من التمس الطريق إلى الهداية رأى نور الله.

والمساجد هى أماكن تلقى النور المعنوى من فيض الله سبحانه وتعالى، فى الحياة الدنيا لنصل منها إلى المرحلة الثانية من الحياة الخالدة .. الآخرة، وهى الحياة الباقية التى نكون فيها مع المنعم سبحانه، فنتلقى منه النعم مباشرة، ذلك هم الذين يُصلُّونَ فى المساجد ويقرأون فيها كتاب الله .. هم أولئك الذين يعرفون هذا النور، وتحفهم الرحمة وتعمهم السكينة(١).

وما دام الله سبحانه هو الذى خلق .. فمن الذى يضع المنهج الذى يصون حياة الناس، ويجعلها تؤدى مهمتها كاملة؟.. هو الله سبحانه الخالق، ولكن بعض الناس الذين يعلمون يقيناً أن الخالق هو الله سبحانه، والمحيى والمميت هو الله .. هؤلاء الناس يحاولون أن يضعوا منهجًا للإنسان غير المنهج الذى وضعه الله، بأن يضعوا منهجاً يفسد حياة الإنسان.. منهج شر وليس فيه خير، ويفترون على الله فيعلمون الإنسان ما يفسد حياته ولا يصلحها.

(١) ففى الحديث النبوى: «ما اجتمع قومٌ فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدراسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٣٠٨)

ولهؤلاء نقول: لماذا لا تطبقون هذا المنهج على حياتكم المادية بأن تحضروا السباك ليصلح جهاز التليفزيون!!.. أو تحضروا النجار ليصلح جهاز التكييف ؟.. هل إذا فعلتم ذلك تكونون قد أصلحتم أم أفسدتم؟.. سيقولون بالإجماع: نكون قد أفسدنا.. فإذا كنتم تقرون أن صانع الشيء هو الذى يضع قانون صيانته .. فلماذا لا تذهبون إلى بيوت الله لتكونوا فى معية ربكم الخالق الرحيم؟.. فإذا كان فيك ما فسد فسوف يلهمك الله طريق الصلاح، وذلك عندما تقف بين يدى الله، وفى بيته، وتقرأ كلامه فتجد..

* الفساد الذى يكون موجوداً داخل نفسك يختفى وزال،
* والرضا ينزل عليك،
* وتحس بقربك من الله فى أن كل ما يغضبك فى نفسك قد برئ ويزول.

أنت لا تعرف أين الخلل فى ملكات النفس.. ولا تعلم ما الذى أصابك من العطب فى داخلك إنما الذى خلقك يعرف ويداويك فتخرج من المسجد وأنت راضى النفس، وذلك كما قلنا إن رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر يقوم للصلاة.. أى إن الأمر الذى كان فوق طاقته، ولا يستطيع أن يفعل فيه شيئًا، وتضيق عليه الأمور فيقول: إن لى ربًا أذهب إلى بيته فأصلى، وأقف فى حضرته.. فتحل الأمور.

إذن لحظة أن يأتينا أمر شديد فلا بد أن نتجه إلى الله، وأفضل مكان نلتجئ فيه إلى الله هو بيته. وبعض الناس يقولون: ماذا سيفعل الله لهذا الإنسان الذى يعانى من شىء فوق طاقته، لقد دخل المسجد وخرج كما هو؟.. نقول له: هذا الظاهر لك، ولكنك لا تعرف ماذا حدث فى داخله، فأنت تتحدث عن العالم

المادى الذى فيه العلامات المادية الظاهرة لكن الله سبحانه يعالج ما يدخل فى النفس دون أن تحس أنت، فأنوار الله ..

تدخل القلوب فتجعلها تطمئن.

وتدخل النفوس فتجعلها تحس بالرضا.

فنحن فى المساجد فى حضرة الحق سبحانه وتعالى فى الصلاة نتلقى منه التجليات والفيوضات التى تعالج نفوسنا التى يعجز عن علاجها أبرع أطباء العالم.

❑ ❑ ❑

الفصل الثالث

وإيتاء الزكاة

﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١].

(١) سورة البقرة: الآية ١١٠.

١
الزكاة من ثمرة الوقت

الصلاة والزكاة أمران كلاهما مرتبط بالآخر .. هذه بالوقت، وهذه بالثمرة الناشئة عن الوقت، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾(١).

وإقامة الصلاة هو: جماع القيم الإيمانية كلها، وإيتاء الزكاة: هو من ناتج الحركة فى الحياة.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣١. يقول الله تعالى آمرًا عباده بطاعته والقيام بحقه، والإحسان إلى خلقه، بأن يقيموا الصلاة، وهى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن **ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات، والنفقة على القرابات والإحسان إلى الأجانب.**

وأمر الله تعالى بالإنفاق مما رزق فى السر، أى: فى الخفية، والعلانية: وهى الجهر.

(تفسير ابن كثير ٢/ ٥٣٩)

لأن الصلاة تعالج شيئًا، والزكاة تعالج شيئًا آخر، فهما يحتاجان إلى ماهية الإنسان التكوينية، فهى :

* الروح ومقوماتها ،

* والجسد ومقوماته .

ولذلك قال النبى ﷺ : «وجعلت قرة عينى فى الصلاة »[1].

إذا نظرت إلى الصلاة والزكاة[2]، وجدت أن مصالح الحياة كلها مأخوذة منهما.. لماذا؟.. لأن مصالح الحياة جمعها الرسول ﷺ فى أركان هذا الدين وهى: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.. فهذه هى الدعائم التى يقوم عليها الإسلام، وهى ليست الإسلام وإنما هى الدعائم أو الأسس التى قام

(١) عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم النساء، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة».

صحيح الجامع [٣١٢٤]

(٢) عن عبد الله بن معاوية الغاضرىِّ رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: مَنْ عَبَدَ الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيِّبةً بها نفسه رافدةً عليه كل عام، ولا يعطى الهَرِمَةَ، ولا الدَّرِنَةَ، ولا المريضة، ولا الشرَطَ اللئيمة، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيرَه ولم يأمركم بشره».

صحيح الجامع [٣٠٤١]

رافدة: من الرفد، وهى الإعانة.

الدرنة: هو الوسخ، والمراد الجرباء.

اللئيمة: البخيلة باللبن.

عليها، وهناك بقية الأسس والتكاليف الأخرى من الأخلاق والسلوكيات وغيرها. فإذا نظرت إلى هذه الأركان وجدت أن الصلاة اشتملت عليها كلها ذلك أن: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي الركن الأول الذى يتحقق تكراره فى الصلاة.. وأنت فى الصلاة تضحي بالوقت الذى فيه الحركة التى ستأتيك بالخير والرزق فتأخذ حاجتك وتعطى الفقير الفائض. أما فى الزكاة فأنت تعطى الفقير الفائض فقط.. الزكاة إذن تأخذ بعض ثمرة الوقت، فإذا كانت حركتك لا تتسع إلا لنفسك فليس عليك زكاة.

ثواب العابد:

الزكاة(١) هى تعويض عن فاقد القدرة عند الإنسان، حيث توجد له مقومات

(١) الزكاة:

* فى اللغة .. زَكا الشيء زُكُوّاً، وزكاءً، وزكاةً: نما وزاد.
وزكّى الشيء: نمّاه وأصلحه وطهره، ويقال: زكّى ماله: أى أدى زكاته، و(تزكى) فلان: زكا وتصدق.
أى أن الزكاة فى اللغة: البركة والنماء.

* فى الشرع: حصة من المال ونحوه يوجب الشرع بذلها للفقراء ونحوهم بشروط خاصة.

(المعجم الوجيز/ مجمع اللغة العربية ـ مادة: زكا)

والزكاة فى معناها شرعا هى:

(أ) جزء يؤخذ من مال مخصوص إذا بلغ قدراً مخصوصاً فى وقت مخصوص ويصرف إلى جهات مخصوصة.

(ب) أخذ لشيء مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة.

(جـ) حق واجب فى مال مخصوص لطائفة مخصوصة فى وقت مخصوص.

والطائفة المخصوصة هى مصارف الزكاة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن الكريم=

= فى قوله تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾ سورة التوبة الآية: ٦٠.

* حكمها ودليل مشروعيتها:

فريضة الزكاة هى ركن من أركان الإسلام، ويكفر من يمنعها، وتؤخذ قهراً ممن لم يؤدها، كما أنه لا يجوز دفعها للكافر، ولا يجوز نقلها من بلد إلى بلد إلا إذا فضلت عنهم. وقد ثبت فرضيتها بالقرآن والسنة.

(أ) ففى القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: – ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ سورة البقرة: آية ٤٣.

– ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ التوبة: ١٠٣.

– ﴿وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذاريات: ١٩.

– ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ الأنعام: ١٤١.

– ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ الحديد: ٧.

– ﴿يمحق الله الربا ويربى الصدقات﴾ البقرة: ٢٧٦.

(ب) وفى السنة النبوية:

– عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «ستأتى قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

أخرجه البخارى [٨/ ٥١] ومسلم [١٩]

– عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار. قال: «لقد سألتنى عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره =

يؤدى بها أركان دينه. فإذا كانت القدرة أقل عند بعض الناس، فالزكاة تجعل كل الناس قادرين.. لماذا؟.. لأن الإنسان القوى العادى يعمل على قدر حاجته فقط، أما الأكثر قوة فيعمل لنفسه ويزيد قليلاً ليعطى الفقير، وتكون له طموحات تجعله يسعى فى الحياة سعياً نشيطاً .. إذن الحياة تقوم على أمرين اثنين هما:

* الأول : القيم،

* والثانى : السعى فى تلك الحياة.

وقد منع الإسلام الرهبانية لأنه يريد للمسلم أن يكون فرداً نافعًا فى المجتمع، ولا يتعطل عن حركة الحياة، فيطلب من المسلمين أن يكونوا سادة العالم وقادته، وهذا لا يتأتى إلا بالعمل، والأخذ بالأسباب التى وضعها الله فى كونه حتى يكون المسلم قويًا عزيزًا، وحتى لا يمد المسلمون أيديهم إلى غيرهم لتظل رؤوسهم مرفوعة، وعقيدتهم مصونة، وجانبهم مهاباً من أعدائهم.

يبين الإسلام لنا أن المسلم يستطيع أن يأخذ الثواب.. ثواب العابد المنقطع

= الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت».

أخرجه الترمذى [٢٦١٦] وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى [٢١١٠]

– وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا».

أخرجه البخارى [٣/ ٢٤١] ومسلم [١٠١٠]

وغيرها من الأحاديث النبوية ما يؤكد حكم وجوبها ومشروعيتها.

* متى فرضت؟

فرضت فريضة الزكاة فى السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر، وذلك من قول قيس بن سعد بن عبادة: أمرنا النبى ﷺ بزكاة الفطر قبل نزول آية الزكوات.

لعبادة الله مع كونه موجوداً بين الناس، وذلك بأن تضع الله نصب عينيك فى كل حركاتك وسكناتك. ولذلك حينما رأى سيدنا عمر ﷺ رجلاً يجلس فى المسجد ولا يعمل، سأل عن من يعوله وينفق عليه .. فقالوا له: إنه أخاه، قال: أخوه أعبد منه.

فالمسلم يستطيع أن يجعل كل حركة من حركاته خالصة لله تعالى، فنحن إذا نظرنا حولنا نجد أن الإنسان سواء كان مؤمناً أو كافراً، يعمل ليقوت نفسه.. ولكن إذا كان هذا هو الهدف لتساوى المؤمن والكافر فى العمل، بيد أن المؤمن لا يعمل ليقوت نفسه وأهله فقط، إنما هو يعمل لأن دينه يحثه على العمل، وأمره الله أن يعمل على قدر طاقته لا على قدر حاجته حتى يوفر لنفسه حياة كريمة ويزكى ويتصدق على الفقير والضعيف والعاجز عن العمل كما قال سبحانه:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾(١).

(١) سورة المؤمنون: الآيات من ١ – ٤.
وقوله تعالى: **﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾** الأكثرون على أن المراد بالزكاة ها هنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية وقد فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة ويحتمل أن يكون المراد بالزكاة هنا زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله تعالى: **﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾** ويحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال فإنه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذى يفعل هذا وهذا، والله أعلم (تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٣٩).

قال العلماء فى قول الله تعالى : ﴿ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ .. ليس معناه أنهم يؤدون الزكاة، لكن معناه أن الإنسان منهم يقبل على العمل، وفى نيته أداء الزكاة.. فكأن الزكاة تدفعه إلى العمل والكسب حتى يستطيع أن يؤديها فالفرق بين حركة المؤمن وحركة الكافر، هو أن الكافر يعمل ليأكل ويعيش ويتمتع بالحياة. أما المؤمن فيعمل وفى خاطره الله .. وفى خاطره مساعدة من لا يستطيع الكسب من الذين أقعدتهم ظروفهم الصحية عن العمل والكسب، ومن هؤلاء الفقراء والمحتاجين، والأيتام والأرامل، والعاجزين عن الكسب.

ولنا فى هذا المقام قصة حدثت معى أنا شخصيًا، فلقد حضرت مع صديق لى من مدة طويلة إلى القاهرة لزيارة أحد أساتذتنا، وركبنا سيارة أجرة وكان المطر شديدًا، وبالقرب من المنزل امتنع السائق من السير حتى المنزل خشية منه على السيارة فالأجرة التى سيأخذها أقل من تكلفة تنظيف السيارة، لكن ألزمناه بالسير حتى باب المنزل فى الشارع الضيق المملوء بالطين فدخل وكان يستحق أجرة آنذاك خمسة وعشرين قرشًا ، لكننا أعطيناه جنيها ففرح السائق، وبعد ذلك قلت له: يا بنى، لماذا تشتغل وتتعب؟.. فقال: أعمل من أجل نفسى وأولادى وزوجتى.. فقلت له: أنا أريد منك أن تزيد شيئًا آخر، قال: ما هو؟.. قلت له: أن تيسر على الناس حاجاتهم ، وأن يكون هذا من أهدافك فى العمل.. فوقعت هذه الكلمة على نفس الرجل فتأثر بها قائلاً: والله لن أرد راكبًا أبدًا .

إذن .. الإنسان لا يعمل من أجل حاجته فقط، ولكنه ينظر إلى حاجة الغير أيضًا ، وفوق هذا يراقب الله فى عمله ويتقنه حتى يبارك الله له فيه، ويعمل وفى

نيته أن يكفى حاجته ويتصدق على الفقراء، والمحتاجين ممن لا يقدرون على العمل والكسب فهم ﴿ للزكاة فاعلون ﴾ .. فإخراج الزكاة فى نيتهم قبل أداء العمل، فهذه تحفزهم .. إلى العمل.

اعتبر الإسلام أن كل حركة فى الحياة، المقصود منها صالح المجتمع كله فهى.. حركة إيمانية. فلو أن مسلماً أراد أن ينقطع للعبادة، فلا بد أن يكون لديه ما يكفيه ويكفى أسرته. فلا ينقطع للعبادة ثم يمد يده للناس أو يترك أولاده يتكففون الناس.. فهذا لا يصح. المسلم لا يعتزل الناس، وينقطع عن حركة الحياة، بل عليه أن يعمل، ويعامل الناس بأخلاق وسلوك حسن بعيداً عن الغش والخداع والاحتكار، وحينما يوجد أمثال هذا الرجل سيرتفع بهم المجتمع ويتقدم، ولكن لو أن الصالحين اعتزلوا المجتمع فسوف يكون المجتمع منهبة للمفسدين والغشاشين فيفسد المجتمع ويضر الناس.

٢
الزكاة تأمين ضد الأغيار

كلمة أنْفَقَ، وَنَفَقَ.. مأخوذة من كلمة: نفق الحيوان(١) .. أى مات، كذلك: ونفقت السوق.. أى انتهت بضاعتها، فكلمة نفقة مأخوذة من هذا المعنى لتذكرنا بأن الإنسان حين ينفق فهو يميت ما أنفقه من نفسه، فلا يتذكر المنْـفَق عليه.. أى لا يتذكر أنه أنفق على شخص ما كذا، أو على غيره كذا. إنما كانت النفقة هى نهاية ما أنفقه، لأنه لم ينفق من أجل البشر، بل كان الإنفاق فى سبيل الله لذلك لا يوجد منه منٌّ ولا أذًى(٢).

(١) **نفق** الفرس والدابة وسائر البهائم ينفق نفوقًا: **مات**، ونفق البيع نفاقًا: راج. ونفقت السلعة تنفق نفاقًا : أى غلت ورغب فيها وأنفق القوم: نفقت سوقهم. ونفق ماله ودرهمه أى نقص وقل، وقيل أى فَنَى وذهب ومنه قوله تعالى **﴿إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق﴾** أى خشية الفناء والنفاد. وأنفق المال : صرفه وفى التنزيل **﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾** أى أنفقوا فى سبيل الله وأطعموا وتصدقوا (لسان العرب مادة: نفق).

(٢) قال تعالى: **﴿الذين ينفقـون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذًى** =

الله سبحانه يريد من كل إنسان يخرج جزءاً من ماله أن ينسى هذا الجزء الذى خرج من هذا المال، فلا يذكره، ولا يمن به على أحد، والإنفاق(١) يقتضى...

* وجود منفِق ،
* ومنفَق عليه ،
* ومنفقًا به.

= لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ سورة البقرة: الآية ٢٦٢.

يمدح الله تبارك وتعالى الذين ينفقون فى سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًا على من أعطوه فلا يمنون على أحد لا بقول ولا فعل، فلا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحيطون به ما سلف من الإحسان أولئك وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك.

(تفسير ابن كثير : ١/ ٣١٧)

وعن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته باليمين الكاذبة».

أخرجه مسلم [١٦٠٧]

(١) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم قال لى: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، قال حكيم فقلت: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق لا أَرْزَأُ أحدًا بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء، فأبى أن يقبل منه شيئا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين إنى إعرض عليه حقه الذى قسم الله له من هذا الفيء فأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبى ﷺ حتى توفى.

أخرجه البخارى [٣/ ٢٦٥-٢٦٦] ومسلم [٣٥ ، ١].

أَرْزَأُ: أى: لا أنقص ماله بالطلب منه.

والمُنفِقُ كما نعرف هو الذى يعطى، والمُنفَق عليه هو الفقير، والمُنفَق به هو الخيرات.. فمن أين تأتى هذ الخيرات؟.. إنها تأتى نتيجة السعى الشريف فى الحياة، وسعى الإنسان فى الحياة يقتضى قدرة على الحركة، فإذا كان الإنسان عاجزاً ولا يجد لديه القدرة على الحركة، فمن أين يعيش؟.. الله سبحانه يضمن له فى حركة القادر ما يعوله، ولذلك جعل الله القدرة عرضًا من أعراض الحياة، فالقادر اليوم قد يصير عاجزاً غداً، ذلك أنه مادامت القدرة عرضاً من أعراض الحياة فالقادر الآن عندما يسمع الأمر من الله بأن ينفق على غير القادر فلا بد أن يُقَدِّرَ فى نفسه أن قدرته هى عرض من أعراض الحياة، هذا القادر يعرف أنه من الأغيار(1)، لذلك فهو عرضة لأن يصير غداً من العاجزين، ويقول القادر لنفسه: عندما أصبح عاجزاً سوف أجد من يعطينى.. أليس فى ذلك هو التأمين الحق؟.. إنه تأمين للمؤمن.

المؤمن يعطى عند قدرته، وذلك حتى يتجنب مشقة السؤال إن جاءت الأغيار، لأن الأغيار إن جاءته سوف يجد من يعطيه، ولذلك يجب أن تتفهم الحكم لا ساعة أن تطالب أنت بأداء مطلوب الحكم، ولكن ساعة أن يؤدى الغير إليك مطلوب الحكم. فالذى يُطلب منه أن ينفق؛ عليه أن يُقَدِّرَ أنه قد يصبح عاجزاً. ولنا أن نسأله: لو كنت عاجزاً ألا تحب أن يعطيك الناس دون مَنٍّ أو أذى؟.. أليس هذا هو التأمين.

التأمين الحق هو فى فى منهج الله سبحانه، ومادامت الأغيار عرضة لأن يصير

(1) غِيَرُ الدهر: أى أحواله المتغيرة: وقد ورد فى الحديث «من يكفر الله يلق الغير». أى تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. (لسان العرب جـ5 ص 3325 مادة: غير).

القادر عاجزًا، ويصبح العاجز قادرًا.. فعندما ينفق المنفق يجب عليه أن ينسى أنه أنفق، فلا يتذكر وجه من أنفق عليه، ولا يُعَيِّر أحدًا بما أنفق، ولذلك جاء قول الرسول ﷺ عن الرجل الذى أنفق: «حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(١).

المؤمن المنفق عليه أن يتيقن ساعة عطائه أن إنفاقه هذا ادخار له، فإما أن يأخذ إن طرأت له الأغيار فى الدنيا، وإما أن يأخذه من يد الله فى الآخرة أضعافًا مضاعفة.

هؤلاء المنفقون هم الذين يَسَعُونَ العاجزين، كالسائل والمحروم(٢) ويعطون لله امتثالا لأمره وتحقيقًا لحكمته فى الوجود لأن الله خلقنا منا القادر، ومنا

(١) عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

أخرجه البخارى [٣/ ٢٣٢] ومسلم [١٠٣١]

(٢) **السائل: هو الذى يبتدىء بالسؤال وله حق فى مال الغنى** فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذكم بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه...» أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٢١٦) **والمحروم: هو الذى ليس له سهم فى بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها** وقال الزهرى: المحروم هو الذى لا يسأل الناس شيئًا.

فعن أبى هريرة ﷺ قال: **قال** رسول الله ﷺ: «ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: الذى لا يجد غنى فيغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس».

أخرجه البخارى [٣/ ٢٧١] ومسلم [١٠٣٩]

العاجز، وأراد ـ سبحانه ـ أن يبين لنا أن القدرة ليست دائمة فى المخلوقين.. فإن قَـدَرْتَ الآن فقد تُسلب منك هذه القدرة غداً. ومادامت هذه القدرة يمكن سلبها منك فلا بد أن تستمسك بالقيوم الذى يقيم القدرة لك دون مَنٍّ أو أذى، وذلك حتى يعرف الإنسان منا أنه لا ينفك عن ربه الذى خلقه قادراً، ذلك أن قدرة الإنسان أغيار تذهب وتجىء، ومادامت الأغيار تذهب وتجىء فلابد أن يضع المؤمن نصب عينيه عطاء القادر الأعلى سبحانه وتعالى.

الله سبحانه جعل للمنفقين وصفًا من أوصاف الذين اتقوا، والذين أُعِدَّ لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، وذلك حتى يحمى ـ الله سبحانه ـ الضعيف الذى خلقه لحكمة فى الوجود.

والإنفاق ليس أخذاً من العبد إنما هو مناولة؛ هذه المناولة تتضح فى أنه ما كان لك ما يزيد عن حاجتك إلا بحركتك فى الحياة. وهذه الحركة فى الحياة:

* تتطلب عقلاً يخطط للحركة،

* وجوارح تنفذ المخطط الفكرى،

* ومادة يتم العمل فيها سواء كانت أرضاً يتم زراعتها أو آلة يتم الصنع بها.

والإنسان ليس له من هذا فى الكون إلا العقل الذى يدبر ، فهو عطاء من الله، والطاقة التى تنفذ هى عطاء من الله، ونحن نرى فى الحياة إنساناً قد نزع الله عنه العقل الذى يفكر ويدبر، ونجد إنساناً آخر قد نزع الله عنه الطاقة التى تنفذ. إذن فلا شىء من هذه الأشياء ذاتى للإنسان؛ إنما هى كلها عطاء من الله سبحانه وتعالى.

إذن على المؤمن أن يتاجر مع الله، بأن يعطى للعاجز حق الله. والله سبحانه لا يأخذ هذا الحق لنفسه، إنما يريده الله لأخيك العاجز، وسوف يعطيك الله هذا الحق إذا عنّتْ لك حاجة بسبب الأغيار.. وهؤلاء المنفقون لهم صفة من صفات الذين اتقوا ربهم، ومثلهم من جعل فى الصبر .. صلابة اليقين الإيمانى فى النفس البشرية، وفى الصدق.. انسجامًا مع واقع لا إله إلا الله، وفى النفقة حماية العاجز الذى لا يقدر.

اعتراف بالفضل:

الحق سبحانه وتعالى حين يطلب منا أن نزكى؛ فعلينا أن نعلم أننا لا نأتى بشىء من عندنا ذلك لأنه سبحانه هو الذى أعطى لنا، ووهبنا العقل الذى يخطط للعمل وهو مخلوق لله.. والجوارح التى تعمل مخلوقة لله.. والأرض أو الصنعة التى تعمل فيها وبها مخلوقة لله، كل شىء إذن عطاء من الله، والله سبحانه وتعالى قدّر سعى العبد فى الحياة وترك له ثمرة ذلك السعى وفرض عليه حقًا معلومًا لأخيه الفقير.. المسلم، وقد يقول قائل: ومادام الله سبحانه هو رب الكل، فلماذا ترك فى الكون فقيرًا؟.. ونرد على مثل هذا القائل فنقول: لقد تركه الله فقيرًا حتى يُثْبِتَ الأغيار فى الكون وهى أن الغنىّ قد يلحقه الفقر، والقوىّ قد يلحقه الضعف، فذلك أمر مطلوب لنظام الكون، فيأتى الحق سبحانه ليدخل الشفقة والرحمة فى قلب الإنسان القادر على الإنسان المعدم حتى يعطيه. فعندما يمنع[1] عبد غنىٌّ الزكاة عن الفقير فهذا خروج عما أراده الله فى أن الزكاة تُصْلِحُ من أمر الكون ووضعه.

(١) عن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له =

ولذلك فنحن عندما نرى جائعًا، فلنعلم أن الإنسان قد ضيع زكاته، فإذا وجدت عورة فى المجتمع فاعلم أن هناك حقًا مضيعًا لله، لأن الله سبحانه جعل المجتمع متساويًا، فإذا رأيت نقصًا فاعرف أن هناك حقًا من حقوق الله مُضيَّعة.

❋ ❋ ❋

= ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهْزِمَتَيْه يعنى شدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: **﴿لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾** سورة آل عمران: آية ١٨٠.

أخرجه البخارى [٣/ ٢١٤]

الزبيبتان: الزبدتان تكونان فى الشدقين إذا غضب الإنسان أو كثر كلامه.

٣
وعيد مانع الزكاة

الناس فى سبيل الحصول على الأموال فى الدنيا يغيرون منهج الله ﷻ سبحانه بما يتفق مع شهوة المال، وما يحقق لهم كثرة الأموال التى يحصلون عليها وذلك باكتنازها فقد قال الحق سبحانه فى ذلك:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١).

---

(١) سورة التوبة : من الآية ٣٤.. وقول الحق ﴿والذين يكنزون﴾ هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العباد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس وأما الكنز فعن ابن عمر أنه قال: هو المال الذى لا تؤدى منه الزكاة.

وروى عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت هذه الآية: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾.. الآية. كَبُـرَ ذلك على المسلمين، وقالوا: ما يستطيع أحد منا أن يترك لولده مالاً يبقى =

والكنز(١) مأخوذ من الامتلاء، أو تجميع الأشياء، ولذلك يقال: الشاة مكتنزة.. أى تَجَمَّعَ فيها لحم كثير، إذن فيكنزون، أى يجمعون وهذان المعدنان ـ الذهب والفضة ـ هما أساس النظام الاقتصادى، فقد بدأ التعامل الاقتصادى بالتبادل.. أى سلعة مقابل سلعة، فكانت تحدث عمليات مقايضة، وعندما ارتقى التعامل الاقتصادى استُحدِث أسلوب آخر وهو العملة التى صارت أساساً للتعامل بين الناس والدول.

العملة منذ بدايتها حتى الآن ترتكز على الذهب والفضة، وحتى عندما وجدت العملة الورقية كان لابد لها من غطاء من الذهب لكى تصبح لها قيمة

= بعده. فقال عمر: أنا أفرج عنكم. فانطلق عمر واتبعه ثوبان، فأتى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية. فقال نبى الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم، وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم قال: فكبر عمر، ثم قال له النبى ﷺ: ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة التى إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته».

(تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٥٠، ٣٥١).

(١) * عن أم سلمة قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب فقلت: يا رسول الله، أكنز هو؟ فقال: «ما بلغ أن تؤدى زكاته فزُكى فليس بكنز».

أخرجه أبو داود [١٥٦٤] وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود [١٣٨٣]

أوضاح: جمع وضح، وهو نوع من الحلى، وقيل: الخلخال.

* وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ له صفائح من نار فأُحْمِيَ عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما ردت أعيدت له، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

أخرجه مسلم [٩٨٧]

اقتصادية ذلك أن العملة الورقية لا يكون لها قيمة إلا بحجم ما يغطيها من الذهب والفضة.

الحق سبحانه وتعالى تكلم عن الذهب والفضة، وهما معدنان جعلهما الناس الأساس فى النقد والتجارة، ولقد وجدت معادن أخرى نفيسة أغلى من الذهب والفضة، ولكن لا يزال الأساس النقدى فى العالم هو الذهب والفضة، وعلى مقدار رصيد الغطاء ترتفع قيمة العملة لأى بلد أو تنخفض .. فمثلا فى مصر كان النقد المتداول قديماً ثمانية مليون جنيه ورصيدنا من الذهب عشرة مليون جنيه فيكون الفائض من الذهب مليونى جنيه، وبذلك كانت قيمة الجنيه المصرى تساوى جنيها من الذهب مضافاً إليه قرشان ونصف قرش. كما أن الذى يهبط بقيمة النقد إلى الحضيض هو أن يكون الرصيد (الغطاء) الذهبى قليلاً، وكمية النقد المتداولة كثيرة، وهكذا يبقى الذهب هو القوة فى الاقتصاد العالمى.

إذن الحق سبحانه وتعالى أراد للبشرية أن يكون الذهب والفضة هما أساس التعامل فى تسيير حركة العالم الاقتصادية، وهذا التعامل يقتضى الحركة الدائمة للمال لأن وظيفة المال هى الانتفاع به فى عمارة الأرض، فلو أنك لم تحركه وكنت مؤمناً بأنه ينقص كل عام بنسبة ٢,٥ ٪ وهى قيمة الزكاة المدفوعة فإنه سيفنى فى خلال أربعين سنة.

فإذا أراد المؤمن أن يُبقى على ماله فيجب أن يستثمره فى حركة الحياة ولا يكتنزه حتى لا تأكله الزكاة ، وهى أقل ما يُدفع من المال، ولكن إذا استثمر صاحب المال ما يملكه فى حركة الحياة، فسينتفع منه الناس وإن لم يقصد أن

ينتفعوا به. فالذى يستثمر أمواله فى بناء عمارة ليس فى خاطره إلا ما ستحققه من ربح، غير أن كثيراً من الناس ينتفعون بهذا المال ولو لم يقصد صاحب المال نفعهم.. فمن وضع الأساس أخذ، ومن جاء بالطوب أخذ، ومن أحضر الأسمنت أخذ، ومن جاء بالحديد أخذ، والمعامل التى صنعت مواد البناء أخذت وعمالها أخذوا، ومصانع الأدوات الصحية، والأسلاك الكهربائية، وغيرها أخذت لعمالها نصيباً، والذين قاموا بتركيب هذه الأشياء أخذوا.. الخ. إذن فقد انتفع عدد كبير فى المجتمع من صاحب العمارة، وإن لم يقصد هو أن ينفعهم. لذلك فالذى يبنى عمارة يقدم للمجتمع خدمة اقتصادية ينتفع بها عدد من الناس، وكذلك كل مشروع استثمارى.

هذه وقاية من الله:

الحق سبحانه وتعالى لا يريد أن يكون المال راكداً ، ولكنه يريده متحركاً ولو فى يد الكافر، لأنه إذا تحرك المال أفاد الناس جميعاً فيحدث.. بيع وشراء، وإنتاج للسلع واستهلاك لها، وانشاء للمصانع، وتشغيل الأيدى العاملة وإلى غير ذلك. ولكن إذا كَنَزَ كل واحد منا ماله فالسلع المنتجة لا تستهلك، والمصانع تتوقف، والناس تتعطل عن العمل والكسب الحلال.

والإسلام كما يحث على استثمار المال يطالبنا أيضاً بألا يذهب المال إلى أناس لا يعملون حتى لايعتادوا عدم العمل، ولذلك قيل: إذا كثر المال ولم تكن هناك حاجة إلى مشروعات فلا تترك الناس عاطلين بل أن تأمرهم بحفر بئر ثم تأمرهم بردمها لأنه فى هذه الحالة من حفر سيأخذ أجراً، ومن ردم يأخذ أجراً.. ذلك أجر عن عمل، فلا تنتشر البطالة ويتعود الناس الأكل بلا عمل، فيفسد

المجتمع. إذن الحق سبحانه وتعالى يريد للمال أن يتحرك ولا يكتنز ولذلك يحذر الله سبحانه الذين يكنزون الذهب والفضة بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

الحق سبحانه وتعالى يبشر المكتنزين بعذاب أليم لماذا؟.. ذلك لأنهم بكنزهم المال أوقفوا حركة الحياة التي أرادها الله لهذا الكون.

الناس تتعامل بالنقد الورقي، لكن ما الحكمة من ذكر الله سبحانه وتعالى الذهب والفضة نقول: إن العملة الورقية، ليست نقداً بذاتها، ولكنها استخدمت حتى تعفى الناس مشقة حمل كميات كبيرة وثقيلة من الذهب والفضة قد لا يقدرون على حملها. إذن فالتعامل بالنقد الورقي قصد به أنه وسيلة للتسهيل في التعامل وهي منسوبة إلى قيمتها ذهبًا، فالذين يكنزون العملة الورقية ولا ينفقونها ينطبق عليهم أمر الاكتناز للذهب والفضة(٢).

ولكن الكنز لا يعني فقط الجمع، ولكنه أيضًا يعني أنهم لا يؤدون حق الله فيه، ولذلك المال الذي أخرجت عنه زكاته لا يعتبر كنزاً، فإنه مدفوع عنه الزكاة عامًا بعد عام. أما المال المكنوز فهو المال الذي لا تؤدى عنه زكاته. أي أن

(١) سورة التوبة : من الآية ٣٤.   سورة الحجرات : من الآية ٩.

(٢) عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: حدثني صاحب لي أن رسول الله ﷺ قال: «تبًا للذهب والفضة» فانطلق مع عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، قولك: «تبًا للذهب والفضة» ماذا ندخر؟ قال رسول الله ﷺ: «لسانًا ذاكرًا، وقلباً شاكرًا، وزوجة تعين على الآخرة».
أخرجه الإمام أحمد في الزهد وحسنه الألباني في صحيح الجامع [٢٩٠٧].

الذى يملك مالاً مهما كانت قيمته ويؤدى حق الله فيه لا يعتبر كانزاً للمال، ويكون الكنز فى هذه الحالة هو ما لم يؤد فيه حق الله، فلنا أن نتساءل: لماذا لم يقل الله: ولا ينفقونهما، مع أنهما معدنين.. نقول: إن الحق سبحانه وتعالى استخدم أسلوب الجمع، لأن الذهب يأخذ إطلاقات كثيرة.. فمن عنده ألف دينار عنده ذهب، ومن عنده مائة دينار عنده ذهب، ومن عنده دينار واحد عنده ذهب. وكذلك الفضة.. فالجمع هنا موجود ولابد أن تُستخدم: ينفقونها.

وأيضًا لم يقل الله: الذى يكنز، ولكن قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ﴾ .. إذن المخاطبون متعددون.. فهذا عنده ذهب، وغيره عنده ذهب. فلا بد إذن من استخدام صيغة الجمع، كذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ [1] الله سبحانه لم يقل: اقتتلا.. لأن الطائفة تسمية لجماعة مكونة من أفراد كثيرين، فإذا جاء القتال لا تبدأ طائفة وتمسك سيفًا وتقاتل الثانية، وإنما كل فرد من الطائفة الأولى يقاتل كل فرد من الطائفة الثانية.. فهما طائفتان لحظة السلام، ولكن ساعة الحرب يتقاتل كل أفراد الطائفة الأولى مع كل أفراد الطائفة الثانية، ولذلك قال الحق: ﴿ اقْتَتَلُواْ ﴾ ولم يقل: اقتتلا.

ثم فى حالة الصلح قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [2] ..

(١ ، ٢) سورة الحجرات: من الآية ٩.

عن الحسن قال: سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن على إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: «إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

أخرجه البخارى [٥/ ٢٢٥]

فاستخدم هنا ـ الحق سبحانه ـ المثنى، لأنه عندما تصلح بين طائفتين لا نأتى بكل فرد من الطائفة الأولى، ونصلحه على كل فرد من الطائفة الثانية، لكن نأتى بزعيم الطائفة الأولى ونصلحه على زعيم الطائفة الثانية.. فيتم الصلح، ولذلك هنا تجب التثنية.

والإنفاق فى سبيل الله يحدث حركة فى المجتمع يستفيد منها كل الناس، كما يجهز منها الجيوش.. جيوش المسلمين. فنظرية عدم كنْز المال ـ والتى ظهرت حديثًا فى الاقتصاد العالمى ـ كانت موجودة منذ نزول القرآن.

كما أن الإنفاق وعدم الاكتناز: يحدث رواجًا اقتصاديًا، والرواج معناه: إيجاد فرص العمل، ووسائل الرزق، وايجاد الحافز الذى يؤدى إلى ارتقاء البشرية. فأنت حين تشترى لبيتك غسالة أو ثلاجة، أو تبنى بيتًا صغيرًا ففى كل ذلك قد أوجدت رواجًا اقتصاديًا فى المجتمع، وفى نفس الوقت ارتقيت بوسائل استخداماتك. والرواج يدفع إلى اكتشاف الأحسن الذى يفيد البشرية. ولكن إذا اكتنزت كل أموالك ساد الكساد الاقتصادى، فليس معنى ذلك أن ينفق المسلم كل ماله وزيادة، ولكن الله سبحانه يريد الوسط فى الأشياء بقوله جل جلاله:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾(١).

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٦٧.. ومعنى قوله تعالى : **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا﴾** أى: ليسوا بمبذرين فى إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون فى حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خيارًا ، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا، **﴿ وكان بين ذلك قوامًا﴾** كما قال تعالى: **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى =**

والإسراف يعنى أنهم أسرفوا فذلك سفاهة فى الإنفاق، وعدم الإبقاء على جزء من المال لمواجهة أى أزمة مفاجئة، وإذا قَتَّرْت حدث كساد فى السوق، وتوقف الإنتاج ، وتعطل العمال بينما الإسلام يريد نفقة معتدلة توجد الرواج السلعى، وكذلك ادخار للارتقاء بحياتك أو فى مواجهة الأزمات.

أنواع الإنفاق:

والإنفاق أنواع ..

* إنفاق فى المساوى لإبقاء الحركة الدائمة بين المنتج والمستهلك.

* إنفاق فى غير المساوى بإعطاء الزكاة.

وإعطاء الزكاة(١) تقى المجتمع من مفاسد كثيرة، فهى تمنع الحقد بين الناس لأنه مادام يأخذ منك الفقير فهو يتمنى لك دوام النعمة حتى يستمر عطاؤك له.. فلا يسخط الفقير على الغنى، والغنى والفقير متساويان فى الانتفاع، لأن الفقير عندما يأخذ لا يسخط على أنه فقير، ولكنه يحس بالعطاء ويدعو للغنى، والغنى حين يعطى يحس أن هذا آمان له، لأنه إذا ذهبت عنه النعمة فسيجد من يعطيه، وهكذا يحدث التوازن فى المجتمع، فلا يوجد من لا يستطيع الحصول على ضروريات الحياة ولا يوجد من لديه فائض يحبسه عن الناس .

= **عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كل البسط فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾** من سورة الإسراء الآية ٢٩ .
(تفسير ابن كثير : ٣/ ٣٢٥).

(١) **الزكاة:** هى تطهير للمال، وإصلاح له وتمييز وإنماء، وزيادة الخير كل ذلك قيل فى معنى الزكاة ــ أما فى الشرع فهو اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة والأصل فيها قول الله تعالى : **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**. سورة البقرة الآية ٤٣

إذن الإيمان يدعونا ألا يعمل كل منا على قدر حاجته فقط فلا يكون هناك فائض للزكاة والصدقة، والإنسان حين يعمل فإنه لا يفيد نفسه فقط .. بل يفيد المجتمع أيضًا، فسائق التاكسى إذا اكتسب مائة جنيه فى اليوم اعتقد أنه نفع نفسه فقط، ولكنه فى الحقيقة نفع المجتمع كله بأن يَسَّرَ على العباد مصالحهم:

* فنقل هذا إلى عمله،

* ونقل ذاك إلى المستشفى،

* ونقل غيره إلى السوق ليشترى ما يحتاج إليه،

* ونقل آخر ليزور قريبًا له ، أو ليحقق مصلحة معه.

إذن فالذى يعمل فإن عمله يكون خيرًا لنفسه، وخيرًا للمجتمع كله. فإذا عمل كل الناس على قدر حاجتهم فقط، فمن أين يعيش غير القادر على العمل؟.. ولذلك فلابد للإنسان المسلم أن يعمل على قدر طاقته، وليس على قدر حاجته. والعمل على قدر الطاقة يجعله يوفى بحاجات من يعولهم، ولا يضطرهم إلى سؤال الآخرين ليقيموا حياتهم.

والمجتمع الذى يجد فيه غير القادر حاجته هو مجتمع يملؤه الاطمئنان بالنسبة للقادر، فنحن نعيش فى دنيا الأغيار، فلا يوجد من يدوم غناه، أو من يدوم فقره. فإذا عاش الغنى فى مجتمع متكافل يجد فيه الفقير حاجته، فإنه لا يخشى تقلبات الزمن، لأنه الآن يعطى الفقير، فإذا أصبح فقيرًا فسيجد مقومات حياته. والفقير إذا أغناه الله فسيتذكر أنه كان يأخذ من الأغنياء فسيبادر ليعين

الفقراء عرفانًا بنعمة الله عليه، وبذلك يعيش المجتمع كله حياة آمنة. كما أن مثل هذا المجتمع يطمئن الناس فيه على أولادهم وذريتهم، ذلك أن الأعمار بيد الله، وعندما يحس الإنسان بأنه عندما يموت ويترك أولادًا صغارًا ضعافًا، فإن المجتمع سيتكفل بهم فهو يحس بالأمان فى حياته.

ولكن المجتمع إذا كان قاسيًا ويضيع فيه حق اليتيم، يكون الأب غير مطمئن على أولاده الصغار، ولذلك الحق سبحانه وتعالى أمر بكفالة اليتيم ليعوضه عن أب فقده بآباء متعددين يرعونه..

* فيحس الأب بالأمان،
* وتحس الأم بالأمان،
* ويحس الصغار بالآمان.

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ (١).

(١) سورة النساء : الآية ٩.

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﷺ : هذا فى الرجل يحضره الموت، فيسمعه رجل يوصى بوصية تضر بورثته فأمر الله تعالى الذى يسمعه أن يتقى الله ويوقفه ويسدده للصواب، فينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشى عليهم الضيعة، وهكذا قال مجاهد وغير واحد.

(تفسير ابن كثير: ١/ ٤٥٦) =

ذلك قول الله سبحانه فى أنه يطلب تقوى الله فى كفالة اليتيم، فيدخل الأمن فى قلب كل أب يخشى أن يموت وأولاده صغار. إذن كفالة المجتمع لليتيم واجبة، فهذا اليتيم لا يسخط على الْقَدَر الذى حرمه من أبيه بل يرضى كل الرضى لأنه وجد آباء يرعونه وهناك قصة فى هذا المقام يرويها بعض إخواننا، فقد مات زميل من زملائهم وأولاده صغار، وكانت الأم تبكى على أطفالها الذين تيتموا. ثم مرت السنين وكبر الأولاد وتخرجوا من الجامعة.. هذا مهندس، وهذا طبيب، وهذا محامٍ، وهذا محاسب، بينما الذين لا يزال آباؤهم على قيد الحياة قد فشلوا فى دراستهم فقال أحدهم للآخر: ليتنا نموت حتى يفتح الله باب الرزق على أولادنا!!.. إذن فهناك آباء محابس رزق، إذا ذهبوا فاض الله بالرزق على أولادهم، وهذه الصورة نراها كثيراً فى الحياة، فنعرف أن الأمر فى يد الله سبحانه فهو: ﴿ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١).

= وعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: مرضت عام الفتح مرضًا أشفيت منه على الموت، فأتانى رسول الله ﷺ يعودنى، فقلت: يا رسول الله، إن لى مالا كثيراً، وليس يرثنى إلا ابنتى، فأوصى بمالى كله؟ قال: «لا» قلت: فثلثى مالى؟ قال: «لا» قلت: فالشطر؟ قال: «لا» قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لهم من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، إنك لن تنفق نفقة إلا أُجِرت فيها، حتى اللقمة ترفعها إلى فىِّ امرأتك».

أخرجه الترمذى [٢١١٦] وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى [١٧١٨]

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٨.

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

(تفسير ابن كثير : ٤/ ٢٣٨)

الاقتصاد الإسلامى مبنى على وجود حركة فى الكون، والحركة هذه لا بد أن تكون على قدر طاقة المتحركين، وليس على قدر احتياجاتهم حتى يكون هناك فائض يأخذه غير القادر من المتحرك القادر. والله سبحانه وتعالى يعطينا لمحـة إيمانيـة حينما نرى الفقير غير القادر؛ فهذا يعطيه وآخر يعطيه من عمله ـ الذى تعب فيه طوال النهار ـ بينما هو جالس لا يفعل شيئًا، بينما من هم أغنى منه يعملون ليعطوه. نقول: إن الله سلب القوة من هذا الرجل ليسخر له من الناس من يعطونه من ناتج أعمالهم.

❊ ❊ ❊

٤
تحريم تركها

البشارة عادة ما تكون فى خبر سار فإذا جاءت فى خبر محزن تكون تهكمًا. والإنسان الذى هو عزيز قومه .. كل الناس تعمل له حسابًا فهو يطغى ويظلم ، ولا يستطيع أحد أن يعارضه، إذ تخافه الناس جميعًا، وهو لا يخاف الله، فيؤتى به يوم القيامة، ويُعذب أشد العذاب ويقال له:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (١).

إذن هو فى هذه المهانة، وفى هذا العذاب من جهنم لا يمكن أن يكون عزيزًا كريمًا، ولكن قول ملائكة النار له: إنك أنت العزيز الكريم.. تهكم عليه تمامًا كقول الحق سبحانه وتعالى:

(١) سورة الدخان : الآية ٤٩.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ﴾(١).

فعندما يسمعون كلمة: ﴿يُغَاثُوا﴾.. يفرحوا لأنهم استغاثوا فيقال لهم: إنهم سيغاثون.. وهذا خبر سار بالنسبة لهم، ولكن الإغاثة تأتيهم بماء يشوى وجوههم.. هل هذه إغاثة؟!.. هذا تهكم عليهم، زيادة فى عذابهم.. ولكن ما هو العذاب الأليم الذى سيتعرضون له؟ .. يقول الحق سبحانه:

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٢).

وهنا قد يتساءل بعض الناس: هل النار لا تُحمى إلا للمعادن لتنصهر؟.. فإذا كان المكتنز أوراق نقد فكيف يُحمى عليها؟.. إذا كان ما اكتنزوه من المعادن فإنها تكون صالحة بأن تكوى بها أجسادهم. أما الورق فكيف يتم به ذلك؟.. نقول: إن القادر سبحانه يستطيع أن يجعل من غير المُحمى مُحمىً.. أو يحولها إلى ذهب ﴿فَتُكْوَى بِهَا﴾.. الكيّة التى يحدثها المعدن الساخن فتلصق بالجلد وتحرقه تاركة به أثر من ذلك.

وعندما شرع الحق سبحانه الزكاة، فإن المال الذى قد أُخْرِجَ حق الله فيه ـ

(١) سورة الكهف : من الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٥.

الزكاة ـ لا يعتبر كنزاً، وإلا قلنا: إن الإنسان إذا أبقى بعضًا من المال لأولاده حتى لو أدى زكاته فإن ذلك يعتبر كنزاً، وتخرج آيات الميراث فى القرآن الكريم عن معناها، لأن آيات الميراث هذه جاءت لتورِّث ما عند المتوفى، ومادام المال هذا قد أُتى من حلال، وقد أدى صاحبه فيه حق الله، فلا يعتبر كنزاً.

أما إذا كان المال لم يؤد حق الله فيه فماذا يحدث؟.. يقول الحق سبحانه: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.. فلماذا خص الله هذه الأجزاء والأماكن من الجسم بهذا العذاب؟.. فقد خصها الله بذلك لأن كل جارحة من هذه الجوارح لها دخل فى عدم إنفاق المال فى سبيل الله.

فالوجه تتم به المواجهة، فإذا رأيت إنسانًا فقيراً متجهاً إلى غنى ليطلب منه صدقة، وهو يعرف أنه فقير، وجاءه لحاجته الشديدة.

* أول ما يفعله عندما لا يؤدى حق الله.. بأن يشيح بوجهه عنه، أو يعبس فى وجهه، ويظهر على وجهه الغضب، وحينئذ يحس الفقير إذا رأى الغنى يشيح بوجهه عنه، ويعبس فى وجهه، يحس بالمهانة والذلة.. فهذه واحدة،

* فإذا لم تنفع إشاحة الوجه، وتقدم الفقير من الغنى فإنه يعرض عنه.. ويدير له جانبه ليحس بعدم الرضا.. وهذه هى الثانية.

* فإذا استمر الفقير واقفاً بجانبه فإنه يعطيه ظهره.. وهذه ثالثة.

إذن فالجوارح الثلاث وهى: **الوجه** الذى أداره بعيداً، ثم أعطاه **جانبه**، ثم أعطاه **ظهره**.. هذه الجوارح الثلاث اشتركت فى منع حق الله عن الفقير، فلابد أن يعذب المانع، ولذلك ستكوى الجباه، والجنوب والظهور.

والمال الذى تفرحون به، وبكنزه فى الدنيا، فإنكم فى حقيقة الأمر كان يجب أن لا تفرحوا لأنكم تكنزون عذاباً لأنفسكم يوم القيامة، فمهما أعطاكم كنز المال من تفاخر وغرور فى الحياة الدنيا، فإنه سيعطيكم فى الآخرة عذاباً على قدر ما كنزتم بسبب امتناعكم عن دفع زكاة هذه الأموال التى تحت أيديكم ولم تؤدوا حق الفقير فيها.

رفض الزكاة:

يخبر الحق سبحانه وتعالى عن بعض المنافقين بقوله:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (1).

فمن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقّن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفى بما قال. هذه قصة رواها المفسرون بروايات مختلفة فى مدلولها: **﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾** فقال بعضهم:

* إنه ثعلبة بن حاطب(2).

* وقال آخرون: إنه معتب.

* وقال رأى ثالث: إنه الجلاس بن قيس.

* وقال رابع: إنه حاطب بن أبى بلتعة..

(1) سورة التوبة : الآية ٧٥.

(2) قال ابن عباس والحسن البصرى: هو ثعلبة بن حاطب الأنصارى.

(تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٧٤)

كل هذه الخلافات يحتملها قول الله تعالى؛ فلم يقل: فلما آتيناه من فضلنا بخل به.. بحيث يكون الكلام منطقيًا على حالة واحدة، ولكن الحق تبارك جاءها بصيغة الجمع فقال:

﴿ فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ ﴾(١).

إذن .. فهناك جمع، والروايات يمكن أن تكون كلها صحيحة في أن الآية الكريمة نزلت في أفراد متعددين قال فيهم الحق جل جلاله: **﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾**.. فكيف يكون للمنافقين عهد مع الله؟!.. نقول: لقد عومل هؤلاء المنافقين بظواهر ألسنتهم، فهم أعلنوا إسلامهم، فيأتى الفرد منهم ليقول: أعاهد الله على كذا، وكذا.. تمامًا كما يأتى الإنسان للصلاة، فهل منعه النفاق من الصلاة ظاهرًا؟.. لا . كذلك عندما يعاهد الله فإنه يعاهده بظاهر لسانه فقط.

وهذه القصة هى أن رجلاً فقيرًا من الأنصار ذهب إلى رسول الله ﷺ ..

وقال: إننى فقير مُمْلَقْ ـ أى شديد الفقر ـ فادعُ لى يا رسول الله أن يوسع الله على فى دنياى.

فقال رسول الله : إن قليلاً تؤدى شكره، خير من كثير لا تطيقه.

فعاود الرجل وقال:

– ادع لى أن يوسع الله على الحاجة.

فدعا له رسول الله ﷺ فوسع الله عليه، وهنا سؤال: كيف يستجيب الرسول

(١) سورة التوبة : من الآية ٧٦.

فى أن يدعو لمنافق؟!.. والرسول إذا كان دعا ترضية له أو تأليفًا لقلبه حتى يحسن إيمانه.. فكيف يجيب الله ورسوله طلب المنافق؟!.. نقول: إذا كانت الإجابة وما سيحدث بعدها سيعطى مثلاً إيمانيًا فيما يحدث لمن يخلف وعده مع الله، فقد تحولت القضية هنا إلى قضية إيمان بحيث يعلم المنافق وغير المنافق ما هو مصير من يعاهد الله ويخلف وعده.

رسول الله ﷺ دعا لهذا الرجل الذى طلب المال، فاستجاب الله للدعاء، فكان يرعى الغنم.. فزادت أغنامه زيادة كبيرة، إذ كانت تتناسل بكثره وضاقت بها المدينة كلما خرج بها. لكن أول ما حدث منه أن هذا المال الوفير شغله عن الصلاة.. صلاة الجماعة، فأصبح لا يذهب لصلاتها مع رسول الله ﷺ، ويذهب فقط إلى صلاة الجمعة، ثم ترك أيضًا صلاة الجمعة. فسأل عنه الرسول فقالوا له: إن ماله شغله فهو فى شعاب المدينة.. فأرسل إليه عامل الصدقة ليحصل منه الزكاة، فلما وصل إليه قال له: ادفع ما كتبه الله عليك من زكاة مالك، فامتنع.. وقال : أى زكاة هذه .. أهى أخت الجزية ؟!

ورفض أن يدفع الذى عاهد الله عليه بأنه: إذا أوتى مالاً تصدق، ويكون من الصالحين ، ولكنه رفض أن يوفى بالعهد، بل والأكثر من ذلك قال لعامل الزكاة: ما هذه إلا أخت الجزية .

إذن الذى عاهد الله، ودعا له رسول الله ﷺ، وقد استجاب الله سبحانه لدعاء رسوله فكثرت أمواله، رفض أن يدفع الزكاة. بل إنه عاند عامل الزكاة وقال عنها إنها جزيه ولن يدفعها !!. وعندما بلغ رسول الله ﷺ بالأمر قال:

— ويح ثعلبة، ويح ثعلبة.. فنزلت الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١).

وحين علم ثعلبة أن قرآنًا قد نزل فيه.. انزعج انزعاجًا كبيرًا، وأسرع إلى رسول الله ﷺ ومعه مال الزكاة ليدفعه، ولكن رفض رسول الله هذه الزكاة. ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، ذهب ثعلبة بالزكاة المتأخرة عليه إلى أبي بكر ﷺ .

فقال أبو بكر : ما كان لخليفة رسول الله أن يقبل شيئًا رفضه رسول الله ثم يقبلها خليفته.

ولما انتقل أيضا أبو بكر إلى جوار ربه جاء ثعلبة إلى عمر بن الخطاب ﷺ وعرض عليه دفع الزكاة فقال عمر مثل قول أبو بكر، وكذلك قال عثمان مثل قول صاحبيه أبي بكر وعمر.

والله سبحانه فى قوله : ﴿لَئِنْ﴾ .. هذا قسم فى صورة عهد مثل من قال: لأقسم بالله إن آتانى مالاً لأنفق منه فى الصدقة. ولكن ما الذى يفهمنا بأنه قسم؟.. الذى يفهمنا ذلك هو أن كلمة ﴿عَاهَدَ﴾ تعنى أنه عهد، واللام فى جواب القسم : ﴿لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ﴾ .. والصدقة فيها واجبة وهى الزكاة،

(١) سورة التوبة : الآيات من ٧٥ / ٧٧ .

وصدقة تطوع ﴿ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.. أى..

* نصلح ولا تفسد فى كل الأمور،

* نعين الفقير والمحتاج.

والله سبحانه وتعالى له عطاءات..

* عطاء الأسباب،

* وعطاء التفضل.

عطاء الأسباب هو أن يَجِدّ الإنسان فى أى عمل من الأعمال فيعطيه الله ثمرة عمله، وهذا عطاء ربوبية.. يعطيه الله للمؤمن والكافر، والطائع والعاصى لأن الله رب للجميع فمن يأخذ بالأسباب ينال عطاءها، فتجد الكافرين بالله تعطيهم الدنيا لأنهم يحسنون الأخذ بالأسباب، وماداموا هم خلق الله، وهو الذى خلقهم وقدر عليهم الوجود فلابد أن تستجيب لهم الأسباب، ذلك لأن هذا عطاء ربوبية ضمنه الله لكل خلقه.. فالشمس تشرق على المؤمن والكافر، والمطر يتنزل على الطائع والعاصى، والأرض تعطى الثمار لكل خلق الله ماداموا يحسنون زراعتها. لكن الحق سبحانه يَسْتُرَ فى عطاء الأسباب بعطاء الفضل، فالمؤمن الذى يأخذ بالأسباب يبارك الله له فى عمله فلا يأتى ريح أو إعصار، أو آفة تذهب زراعته، بل يجعل الله ثماره أفضل، ورزقه فى السوق أوسع، ويُذهب عنه عوامل فناء المال كالمرض أو الكوارث أو غير ذلك.

إذن فعطاء الأسباب للناس جميعًا، وعطاء الفضل خاص بالصالحين من عباد الله الذين أخلصوا فى عملهم لله طاعة وامتثالاً.. ﴿ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ ﴾ دليل

على أن الرزق الذى جاءهم لم يخضع للأسباب وحدها بل زاد عما تعطيه الأسباب بفضل من الله. فالتكاثر الذى حدث فى الأغنام.. أغنام ثعلبة لم يكن تكاثر بالأسباب فقط بل فيه بركة جعلت الْحَمْل الواحد للشاة يأتى بأكثر من وليد، والعشب الذى تأكله يدر كمية كبيرة من اللبن لكنهم ﴿ **بَخِلُوا بِهِ** ﴾ .

فما هو البخل؟

إن الامتناع عن إعطاء الشيء: هو البخل، والشح ، والكزاز .. كل هذه هى أسماء الامتناع عن إعطاء الشيء. ولكن منازل العطاء والبخل(1) تختلف . ذلك لأن هناك..

* إنساناً لا يعطى إلا من سأله.

* وإنساناً آخر لا يعطى كل من سأله، ولكنه يعطى فقط من يلح عليه، أو تكون حالته مثيرة للعواطف كأن يكون قد أصيب بكارثة أو مرض.

* وهناك من يعطى بدون سؤال.

فكم مرحلة هذه ؟.. عطاء بلا سؤال، وعطاء بسؤال، وعطاء بإلحاح فى السؤال.

والإنسان قد يرى إنساناً آخر حالته رقيقة فيعطيه دون أن يسأله.. فهذه منزلة

(1) **البخل**: ضد الكرم. **والشح**: هو البخل مع حرص، والشح أشد، والبخل وهو أبلغ فى المنع من البخل **والكزاز**: البخل يقال رجل كَزّ اليدين أى بخيل (لسان العرب: مادة كزز).
عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا».
أخرجه أبو داود [١٦٩٨] وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود [١٤٩٨]

من منازل القرب من الله لينير بها البصائر وأصحاب هذه المنزلة يعاقبون أنفسهم إذا لم يفطنوا إلى رقة حال إنسان دون أن يسألهم، مثل الرجل جاءه رجل آخر فخرج الأول يسأله ماذا يريد؟.. فسأله مالاً.. فذهب وأحضر له المال معطياً له. ثم عاد المعطى يبكى فقالت له زوجته: ماذا يبكيك وقد أجبت للرجل مطلبه وأعطيته ما سأل!!.. فقال الزوج : يبكينى أننى تركته ليسألنى.. كأنه يلوم نفسه على أنه لم يفطن إلى أن هذا محتاج فيعطيه من غير سؤال. إذن مراتب السؤال ثلاث.

المرتبة الأولى: الإنسان الذى يعطى من غير سؤال فهو..

* يعطى من فضل عنده.. أى يكون عنده مال كثير ويعطى نصف ماعنده، فهو يقسم ماله نصفين.

* أو يعطى أكثر مما يبقى عنده.. وهؤلاء يعطون بدون سؤال.

المرتبة الثانيـــة: هى أن يعطى لمن يسأله.

والمرتبة الثالثة:هى أن يعطى لمن يعرف أنه صادفته ظروف قاسية كمصاب بكارثة قوية تهتز لها المشاعر .

إذن البخل: هو ألا تعطى من سألك بغير أسباب، أو من أبدى لك أسباباً تثير النفس البشرية، ويهتز لها الضمير، وتجزع لها النفس فتعطيه.. ولكن ما هو جزاء هؤلاء الذين بخلوا ، وانصرفوا عن السماع لهم عند السؤال، وعن دفع الزكاة لهم؟

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (١).

الجزاء هو أن جعل الله عاقبة هذا التصرف نفاقًا فى قلوبهم إلى يوم القيامة. فمادام الحق سبحانه قد قضى بذلك فإن الذى بخل بالمال وضَيَّعَ الزكاة، وأعرض عمن يطلبها منه لا يموت على إيمان. وقد حدث لكل الذين ذكرتهم فى هذه القصة أنه لم يمت أحد منهم على إيمان، ولكن لماذا كل هذا العقاب الذى نزل بهم؟..

﴿ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ (٢).

فهم أخلفوا وعدهم مع الله فى أنه إذا أغناهم سيتصدقون.. فكأنهم كذبوا على الله، ثم بعد ذلك كذبوا بأحد أركان الإسلام وهى.. الزكاة، وقالوا : إنها أخت الجزية!!!

❊ ❊ ❊

(١/ ٢) سورة التوبة : الآية ٧٧.

٥

الزكاة تطهر الأموال والأنفس

سبحانه وتعالى عندما حث المؤمنين به على الصدقة فإنه يريد منهم أن يطمئنهم إلى أن ما يأخذه من جهد المؤمنين أو من حركتهم فى الحياة لا ينقص ما عندهم، وإنما يتضاعف بالصدقة. وبذلك يتضاعف المال الذى ننفقه فى سبيل الله مرات ومرات وذلك ليرد إلينا كل عمل صالح فى يوم لا ينفع الإنسان فيه مال الدنيا كلها. والله سبحانه وتعالى يقول:

[illegible] (١).

الصدقة ليست ـ بالضرورة ـ هى الزكاة المفروضة، وإنما هى صدقة

---

(١) سورة التوبة : من الآية ١٠٣ .. أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام، وإن أعاد بعضهم الضمير فى **﴿أموالهم﴾** إلى **﴿الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾** ولهذا اعتقد بعض مانعى الزكاة من =

للتكفير عن الذنوب. ففى غزوة تبوك تخلف عن الاشتراك فيها فئة من غير المنافقين، فاعترفوا بهذا الذنب، فعرضوا على رسول الله ﷺ أن يأخذ من أموالهم التى شغلتهم عن الاشتراك فى الغزوة، فقاموا بتقديم الأعذار الكاذبة لعدم المشاركة فى الجهاد.. فى غزوة تبوك، فقال الحق سبحانه: [illegible]

الله جل جلاله هو صاحب المال، ولكنه ضمن لهم ثمرة سعيهم وكدهم فى الحياة، فنسب الأموال إليهم، وذلك حتى يكد كل إنسان فى الحياة على قدر طاقته، وليس على قدر حاجته فقط، حتى يوجد فائض مال للزكاة يعطى للفقير. والله سبحانه يريد أن ينسب ملكية المال لخلقه من البشر لأنه يعرف أن النفس تحب أن تتملك، وأنها لا تحب أن تفرط فيما تملك، ذلك أن الله هو الخالق للنفس البشرية وهو يعلم غرائزها.

= أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصاً برسول الله ﷺ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾** وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد الصديق أبو بكر وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ.

(تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨٥)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله» فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عناقًا كانو يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر فعرفت أنه الحق.

أخرجه البخارى [٣/ ٢١١] ومسلم [٢٠]

والأموال إذا أضيفت لأصحابها فإنها تضاف إليهم حين يكونون قادرين على التصرف فيها بعقل كامل الإدارك بصرف النظر عن اختيارات هذا العقل فى إنفاق المال، ولكن يشترط فيه القدرة.. فالقاصر لا مال له لأنه لم يبلغ النمو العقلى الكامل، والسفيه هو من لايحسن التصرف فيه.

وأنت حين تكون وصيًا على قاصر أو سفيه، فالله سبحانه وتعالى يطالبك بأن ترعى أموالهما، باعتبار أن أموالهما مثل أموالك ولكن إياك أن تتعدى على ملكية المنفعة بحيث تملك هذا المال ملكية ذاتية، ولكنك ترعاه كَقَيِّم عليه، ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَامًا ﴾ (١).

أى أنت قائم عليها فقط ولا تمتلكها ملكية ذاتية، ولكنك تستثمرها وتنميها حتى يكتمل التكوين العقلى لصاحبها، ولذلك قال الحق جل جلاله:

﴿ [illegible]
[illegible] أَمْوَالَهُمْ ﴾ (٢).

لم يقل الحق سبحانه ادفعوا إليهم أموالكم.. لا، لأن المال هذا كان فى حكم مالك أنت حتى يبلغ القاصر رشده.. أو يعود للسفيه عقله.

(١) سورة النساء: الآية ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٦.

حقوق الغير:

على أن هناك رأيًا للعلماء: هو أن المال مادام فيه حق للسائل والمحروم، فلا يصح أن أنسب المال كله إلىّ لأن شريكىّ فيه هما السائل والمحروم، وهؤلاء لهم حق فى هذا المال.

إذن المال الذى أملكه ليس مالى على إطلاقه، ولكنه مالى باستثناء حق السائل والمحروم، ذلك مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ والذينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (١).

كما جعل الله سبحانه هذا الحق فى قوله سبحانه:

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢).

والحق المعلوم الذى يقرره الحق سبحانه هو:

*** الحق الأول .. هو الزكاة المفروضة بقدر معلوم، وبنسبة معلومة.**

*** والحق الثانى .. هو حق يوجبه صاحب المال على نفسه أى بالتطوع.**

ولذلك لم يقل الله سبحانه: حق معلوم .. بل قال:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة المعارج: الآيتان ٢٤ و ٢٥.
(٢) سورة الذاريات: الآية ١٩.
(٣) سورة الذاريات: الآيات ١٥ – ١٩.

فهنا الحق غير محدد لأن صاحبه دخل فى مقام الإحسان ، وهو .. أن تلزم نفسك بشىء أكثر مما فرضه الله عليك من جنس ما فرضه الله سبحانه.

الله سبحانه وتعالى لم يفرض على الإنسان أن يقوم الليل كله، وأن يستغفر بالأسحار، ولكنه سبحانه وتعالى فرض علينا صلاة العشاء، ثم بعد ذلك صلاة الفجر وما بينهما للنوم والراحة، ولكن الذين يريدون أن يدخلوا فى مقام الإحسان عليهم أن يتطوعوا بقيام الليل.

كذلك فرض الله جل جلاله الزكاة وهى حق معلوم، ولكن إذا أردت أن تدخل بالزكاة فى مقام الإحسان فلك أن تزيد على القدر المعلوم للزكاة بأن تزيدها حسب قدرة كل إنسان وكرمه فبدلاً أن تخرج الزكاة ٢,٥ ٪ اجعلها ١٠ ٪ أو ٢٠ ٪.

أدب وأسلوب :

علماء المسلمين قالوا: إن أموال المسلمين هى ما يمتلكونه من أموال بعد أداء الحق المعلوم للفقير والمسكين، هذا الحق المقرر للفقير والمسكين لم يخرجه الله سبحانه عن مال الشخص الذى فرض عليه أن يؤديه .. لماذا؟

لأن الله سبحانه لو أنه قد عزل حق الفقير والمسكين عن صاحب المال، فلو هلك هذا المال وضاع، فإن حق الفقير والمسكين يكون قد ضاع.

ولكن الله سبحانه وتعالى نسب المال كله لصاحبه، فبذلك جعل حق الفقير والمسكين فى ذمة صاحب المال ... فلو هلك المال بقيت ذمة صاحبه مشغولة بمال الفقير الذى يجب أن يؤديه ... فأيهما أحسن للفقير .. أن يكون

حقه فى ذمة صاحب المال؟.. فإذا هلك المال بقى الحق؟.. أم يكون الحق فى المال، فإذ ضاع المال ضاع الحق ؟

ولنفرض أننى أملك مالاً ومر عليه العام[1] ووجبت عليه الزكاة، ولكن لم أخرجها فى موعدها، ثم هلك هذا المال فإن الزكاة تكون واجبة الأداء، ولا يضيع حق الفقير مادام المال قد مر عليه الوقت الذى يوجب إخراج الزكاة. بينما لو كانت الزكاة حقًا فى المال ، ولم أخرجها فى موعدها، وهلك المال.. فإنه يضيع حق الفقير بذهاب المال!.. فحق الزكاة فى ذمة صاحب المال. ومادامت الزكاة لم يؤدها فى وقت إخراجها، ثم حدث ما أضاع هذا المال فتكون الزكاة واجبة.

وفى قوله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بها** ﴾[2] أربعة عناصر هى..

الأول: ﴿ **خُذْ** ﴾ فهذا أمر لرسول الله ﷺ ،

والثانى: **مأخوذ منه** وهو صاحب المال،

والثالث : **مأخوذ** وهو المال،

والرابع: **مأخوذة له** وهو الفقير.

---

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «من استفاد مالا فلا زكاة عليه حتى يحول الحول عند ربه».

أخرجه الترمذى [٦٣٤] وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى [٥١٥]

(٢) وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: إن الصدقة تقع فى يد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل .. ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ .

(تفسير ابن كثير : ٢/ ٣٨٦)